

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 7 - سورة فاطر - تفسير الآيات 32 - 38

12-11-1995

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، الآية الثانية والثلاثون والتي بعدها من سورة فاطر

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (32)

[سورة فاطر]

من " هنا للتبويض

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾

[سورة فاطر]

لم يأخذ هذا الكتاب ولم يهتد به ولم يطبق أحكامه، وهذه هو أشد أنواع الظلم،

﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾

[سورة فاطر]

ومنهم مقتصد، أخذ بالرخيص وفعل المباحات ولم يفعل العزائم

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[سورة فاطر]

فأنت لك موقف مع هذا الكتاب إما أن يكون الإنسان سابقاً بالخيرات وإما أن يكون مقتصداً وإما أن يكون ظالماً لنفسه، فإن لم يفهم هذا الكتاب ولم يتدبر آياته ولم يحل حلاله و يحرم حرامه ولم يعبا بوعده ولا بوعيده ولم ينهض بقصصه ولم يصدق أخباره، ظلم نفسه ن كتاب هداية وسعادة، منهم ظالم لنفسه، وهناك إنسان آخر اتخذ الحد الأدنى، هذا ينجو، ومنهم مقتصد وهو من أصحاب اليمين، وهناك إنسان جعل هذا القرآن ربيع قلبه، وجعله منهجاً دقيقاً، وأخذة بكلتا يديه، وقراه آناء الليل وأطراف

النَّهَارِ، وَعَاشَرَ فِي رَحَابِ مَعَانِيهِ وَصَدَّقَ أَحْبَابَهُ، وَأَخَذَ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ عَلَى مَحْمَلِ الْجَدِّ، وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، قَالَ تَعَالَى

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)﴾

[سورة فاطر]

أما هناك مَنْ يرى أَنَّ الْفَضْلَ الْكَبِيرَ أَنْ تَشْتَرِيَ بَيْتًا بِعِشْرِينَ أَلْفَ لَيْرَةٍ وَالْيَوْمَ ثَمَنُهُ سَبْعِينَ مَلْيُونَ لَيْرَةً، فَالْفَضْلُ الْكَبِيرُ أَنْ تَكُونَ وَكَيْلَ شَرِكَةٍ لَهَا بِضَاعَةٌ رَائِجَةٌ وَمَحْصُورَةٌ فِيكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْبِرُنَا وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ الْفَضْلَ الْكَبِيرَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِكَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)﴾

[سورة فاطر]

هذا الْفَضْلُ الْكَبِيرُ يَنْتَهِي إِلَى جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، حِينَما تُجَلُّ حلاله وتُحَرَّم حرامه، وتُصَدَّق وَعْدُ وَوَعِيدُهُ، وتأخذ بما أمر وتنتهي عما نهى وزجر؛ هذا هو الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، فهذه العقيدة وذاك السلوك وهذا الحال ينتهي بك إلى الجنة، فأحياناً تجد الدارس سبعة سنوات دراسة كي يُعْطُونَهِ رَقَّةً فِيهَا كَلِمَةٌ ما جَسْتِيرُ، ولكن هذه الرقعة الصغيرة تنتهي بك إلى دحل كبير، وهذا الْفَضْلُ الْكَبِيرُ يَنْتَهِي بِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَاللهُ تَعَالَى قَالَ

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33)﴾

[سورة فاطر]

كَلَّ ما في جنة غير ما في الأرض، أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا حَطَرَ على قلب بشر؛ فهذا الوصف من باب التَّقْرِيبِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)﴾

[سورة فاطر]

فالله تَعَالَى وَعَدَّنَا بِالْجَنَّةِ وَهذه هي الجنة، بِرَبِّكُمْ كم يوجد من مَصْدَرٍ لِلْحَزَنِ؟ مليون مصدراً، مليون هم من جَسْمِكَ! ومليون ثاني من بَيْتِكَ!! ومن دَخَلِكَ!! كل هذه الهموم تزول يوم القيامة، وينتهي الحزن من دون رجعة، والدنيا أيها الإخوة كلها أحران، ولا تصفو لمؤمن، ويقولون لا راحة لمؤمن إلا بإلقاء وجهه ربِّه، فأحدهم سمع هذه الكلمة فقال: ولا الكافر يزتاح!! فهذه الحياة مَبْنِيَّةٌ عَلَى المتاعب من أجل أن تسعى إلى الجنة، فأجمل صفة للدنيا أن الدنيا كلها حزن ومقلقات والجنة راحة ما بعدها راحة، ففي الدنيا شَبَّح الأُولاد والزوجة والفقير؛ هذه كلها مشاكل.

ثم يقول تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)﴾

[سورة فاطر]

على ما كان منك، وشكر أعمالك الصالحة، فألث بك الأمور إلى الجنة، قال تعالى:

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)﴾

[سورة فاطر]

فلا تعب ولا مشاكل، ولا سين يؤلمك، ولا بيت بالأجرة، فهذا حال أهل الجنة.

ثم قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ

كُفُورٍ (36)﴾

[سورة فاطر]

ما قرءوا القرآن وما عبئوا به، وما ألترموا به، وما أحلوا حلاله، وما حرّموا حرامه، قال تعالى:

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ (36)﴾

[سورة فاطر]

أصعب أن تكون دون موتٍ ودون حياة، لا حذب ولا سلم.

ثم قال تعالى

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾

[سورة فاطر]

ثلاثة وسبعون سنة فهذا العمر كافي لمعرفة الله، أفلا يتذكر فيه من تذكر؟! فهذا العمر كافي للتوبة

وإصلاح الأخطاء، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾

[سورة فاطر]

ما هو النذير؟ هذا القرآن، والنبي العذنان، وسنُّ الأربعين والستين والنذير الشيب، عهدي كبرت سنك،

وضغف بصرك، وأنحنى ظهرك، وشاب شعرك، فاستحي مني فأنا أستحي منك

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول
تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال بديع
لو كان كان حُبك صادقاً لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يُحبُّ يُطيعُ

فالنذير ما سبقَ وصفه، ومن دخل الأربعين دخل أسواق الآخرة والنذير سنُّ السنين، والنذير المصائب،
وموتُ الأقارب، هكذا قال الإمام القرطبي في تفسير معنى كلمة النذير، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَنْدَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38)﴾

[سورة فاطر]

هذه الآخرة قُدِّمَتْ لنا صُور منها، وكأنا نراها رأيَ العين، فالله سرَّب لنا مشاهد الآخرة، وهذا كلام
آخر الكون، وكلام الله تعالى وهو الذي قال لك: الفضل الكبير أن تأخذ بهذا الكتاب، وتعمل به وأن
تُصدِّقَ وعده، وتخاف من وعيده، قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
يَأْتِنُ اللَّهَ﴾

[سورة فاطر]

أحدهم سأل أحد العلماء: كم الزكاة؟ فقال له: عندنا أم عندكم؟! فقال: وهل لنا زكاة ولكم زكاة؟! فقال:
يا ابني أما عندنا فالعبد وماله لسيده، وأما عندكم اثنان ونصف بالمائة! قال تعالى:

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾

[سورة البقرة]

فايتاء المال على حبه شيء، وإيتاء الزكاة شيء آخر، فلك أن تأخذ الحد الأدنى وأنت مُقتصد بهذا،
ويمكن أن تأخذ الحد الأعلى فأنت سابق بالخيرات، لذا هذا الكتاب الكريم لك منه ثلاثة مواقف: فإن لم
تعبأ به فقد ظلمت نفسك، وإن أخذت الحد الأدنى اقتصدت، وإن أخذته بكلك سبقت الخيرات، لذلك قالوا:
العلم لا يُعطيك كله إلا إذا أعطته كلك، فإذا أعطيتَهُ بعضَكَ لم يُعطِكَ شيئاً، وبطل المرء عالماً ما طلب
العلم فإذا ظنَّ أنه علم فقد جهل.

نسأل الله أن يجعلنا من السابقين أو أقل شيء من المُقتصدين، إما أن نكون من الظالمين فنعود بالله
تعالى من هذا.